بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فبين يديك أيها القارئ الكريم، مادة علمية، أصلها محاضرة ألقيتها مساء الأحد في ١٥ من صفر لعام ١٤٤٤هـ الموافق ١١ من سبتمبر لعام ٢٠٢٢م عبر أثير إذاعتي مركز رياض الصالحين الإسلامي بدبي، وشبكة بينونة للعلوم الشرعية بأبوظبي بارك الله في القائمين والمنظمين وأجزل لهم المثوبة.

أخي القارئ، أختي القارئة!

بين يديكم وقفات تدبرية مع تفسير سورة الإخلاص:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الخلاص]، وهي سورة مكية.

سبب نزول هذه السورة:

روى أبو العالية عن أُبي بن كعب، أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسُب لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة (١).

وجاء أن ذلك كان بسُؤال اليهود، سألوا النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك؟ فأنزل الله السورة ((٢)).

شرح الآيات:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿قُلْ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، وللأمة أيضاً

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الإخلاص.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري لسورة الإخلاص.

و﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن عند المعربين. ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ هو خبر المبتدأ و ﴿أَحَدٌ﴾ خبر ثان. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ جملة مستقلة.

والمعنى: ﴿قُلْ﴾ قولا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي هو الله الذي تتحدثون عنه وتسألون عنه ﴿أَحَدٌ﴾ أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة ﷻ. الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

بيّن الله تعالى أنه ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ عن ابن عباس أن (الصَّمَد) الذي لا جوف له. وهو قول مُجاهد والحسن وسعيد بن جُبير. وعن الشّعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وكل هذه المعاني تدل على كمال الله ﷻ. وقِيل تفسيره ما بعده، كما روى أبو العالية عن أُبي بن كعب، قال: (الصَّمَد)، الذي لم يلد ولم يُولد؛ لأن من يولد سيموت، ومن يَرث يُورث منه.

وعن أبي وائل شقيقُ بن سلمة رضي الله عنه: (الصَّمَد) هو السّيِّد الذي قد انتهى سُؤدُده. وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الصَّمَد) هو السَّيِّد الذي قد كمُل في جميع أنواع السُّؤدُد.

وعن سعيد بن جُبير أيضًا: (الصَّمَد) هو الكاملُ في جميع صفاته وأفعاله.

ومن أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجَهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكاملُ في أوصافه، العليمُ الذي قد كَمُل في علمه، الحليمُ الذي قد كَمُل في حِلمه، الرَّحيم الذي كَمُل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر. وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

ومن كماله سبحانه وتعالى أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه جل وعلا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي في فاطمة: «إنها بَضْعَةٌ مني»(٣)، والله جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل. والله ﷻ مستغنٍ عن ذلك. فلهذا لم يلد لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد ﷻ.

وقد أشار الله ﷻ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١]. فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه. وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة (٣٧١٤). ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل بنت النبي ﷺ (٢٤٤٩) (٩٣).

فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو له مثيل.

في قراءة حفص عن عاصم: بضم الفاء من غير همز (كُفُوًا). وجاءت في قراءة حمزة وإسماعيل: (كُفْؤًا) ساكنةُ الفاء مهموزًا. وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزًا (كُفُؤًا)، وكلها لغات صحيحة. وكلٌ منا يقرأ وفقًا للقراءة التي يقرأ بها القرآن. ولكن لو حصل وأن أخطأ قارئ وحاد عن قراءته المعهودة إلى قراءة الآية وفقًا لقراءة أخرى فلا تثريب عليه إن شاء الله؛ لأنه قرأ بقراءة صحيحة.

فضل سورة الإخلاص:

وهذه السورة لها فضل عظيم. قال النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»(٤)، لكنها تعدله ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن. بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله، لكنها لا تجزئ عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء ولا يجزئ عنه. فها هو النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل**»(٥)، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء.

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل (قُلْ هُوَ ٱللَّه أَحَدٌ) (٥٠٥١) ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٨١١) (٢٥٩).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الذكر باب فضل التهليل، (٢٦٩٣) (٣٠).

هذه السورة كان الرسول ﷺ يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية على الإخلاص التام لله، ولهذا تسمى سورة الإخلاص.

ومما جاء في فضلها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه**».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

سلسلة مطويات شبكة بينونة

وقفات تدبرية مع تفسير

سورة الإخلاص

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سلمان الحمادي